

الخب في الجزائر. مصالي الحاج وفرحات عباس دراسة تاريخية وفكرية مقارنة.

أ. جيجك زروق

جامعة سطيف 02

مقدمة :

تكونت في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي نخب ساهمت في بلورة الفكر السياسي والنضال الحزبي فاختلقت في مطالبها ونظرتها تجاه فرنسا وتجلت ذلك في اختلاف المدارس الفكرية التي تخرج منها روادها فمنها فكر محافظ ديني اسلامي متمثلا في مصالي الحاج صاحب التيار الاستقلالي وفكر آخر خريج المدرسة الفرنسية متشبع بالثقافة الغربية ينادي بالاندماج ممثلا في فرحات عباس. ومن هنا نتطرق الى مفهوم النخبة من جوانبها المتعددة وأنواعها حسب الفترات التاريخية منذ بداية الاحتلال الفرنسي ومنابع الثقافة المتشبع لكل منهما؟

ارتبط مفهوم النخبة بالعديد من العلوم منها علم الاجتماع السياسي والعلوم السياسية والعلوم الانسانية بصفة عامة فهذا ما ولد اختلاف في المفاهيم والنظريات الا انها اتفقت في مجملها على أن النخبة هي مجموعة من أفراد المجتمع الواحد والمتفوقين في إحدى المجالات والتي سرعان ما تجعلهم سلطة حاكمة على المجتمع⁽¹⁾ وتعددت التعاريف بتعدد مجالات النخب من حيث الاختصاص فمنها التعريف الاقتصادي الذي يري أصحاب النظرية الماركسية أن التحكم في الثروة ووسائل الانتاج في المجتمع يجعل تلك الطبقة هي النخبة وتطور الأوضاع والوسائل تتحول الى سلطة حاكمة أي التحول من سلطة اقتصادية الى سلطة سياسية .

أما من الجانب الثقافي فهي تلك الفئة الاجتماعية التي تلعب دورا تنويرا وتعليميا وتثقيفيا في أوساط المجتمع والتي تشترط قوة الدليل والحجة والافناع والتأثير. ولا يجب الخلط بين المثقف والنخبة في الجانب الثقافي فالمثقف هو ذلك الشخص الذي يستطيع اقناع المجتمع وتوجيهه وهنا يلتقي المثقف مع النخبة من جانب الشروط أما الاختلاف فيظهر جليا من حيث التدرج في المنصب والمهام والحكم فالمثقف لا يصل الى درجة السلطة والحكم مقارنة بالنخبة فهم طبقة مثقفة متطلعة للحكم⁽²⁾. أما ارتباطها بالانتلجنسيا التي تعني الفكر الانساني أو الافكار من حيث التعريف اللغوي في المصطلح الروسي فالانتلجنسيا هي مجموعة اجتماعية حقيقة وليست فرديات مثقفة فهي تتداخل مع النخبة في الثقافة والتكوين العلمي ولكنها ليست ذات طابع تنظيمي فالانتلجنسيا هي بداية شرارة الثورات وتغيير

الأوضاع السائدة في المجتمع⁽³⁾. وللنخبة العديد من التعاريف فركزنا في بحثنا هذا على التعريف الاقتصادي والثقافي اللذان يندرجان في تكوين شخصيتي البحث في المجتمع الجزائري . أما التعريف اللغوي فالنخبة من الفعل انتخب أي اختار فهو المختار من كل شيء⁽⁴⁾ فالانتخاب من الاختيار فنقول نخبة المجتمع أي خيار المجتمع أحسنهم من حيث العلم و الأدب والاخلاق والثقافة⁽⁵⁾.

1 - أنواع النخب في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي

الفرنسي من أجل الحفاظ على أصولها من لغة و دين و ثقافة و عادات. وجهت أبناءها للتعليم في المدارس الدينية العربية الإسلامية المختلفة كالزاوية أو الكتاتيب أو المساجد....، أو إلى البلدان الإسلامية و حواضرها التعليمية مثل الزيتونة و الأزهر أو إلى بلاد الشام.

ب - الأجواد أو نبلاء السيف:

تتواجد نخبة الأجواد بالمناطق الريفية التي يطلق عليها في منطقة الغرب الجزائري بقبائل المخزن و الدوايدة في الشرق الجزائري التي عرفت بسيطرتها على المناطق الأخرى و على سكان الريف⁽⁸⁾ وقد قسمها الأستاذ سماتي إلى ثلاثة فئات وهي الدوايد و الدواير و السمال⁽⁹⁾ فهذه النخبة كانت مساندة للمرابطين في الجانب العسكري فكانت بمثابة السلطة العسكرية على سبيل المثال ثورة 1871م بقيادة الشيخ الحداد المرابط الذي يمثل السلطة الروحية و الشيخ المقراني الذي يمثل السلطة العسكرية. والأجود هم من العائلات المحافظة على القيم الموروثة أبا عن جد و من أهم اهتماماتهم استعمال الأسلحة و تكوين الفرد بمبادئ الشجاعة و الدفاع عن النفس و الشرف هذا ما أدى ببعض العائلات في رغبتها للوصول إلى سدة الحكم من خلال تقويتها. للحفاظ على مكانتهم في ظل سياسة الاحتلال الفرنسي المتمثلة في اقتطاع الأراضي و فرض الضرائب هذا ما أدى ببعضهم بالتحالف مع فرنسا فوجهوا أبناءهم إلى المدارس الفرنسية⁽¹⁰⁾ فظهرت النخبة المثقفة ثقافة فرنسية و التي سنتناولها في النخب الحديثة.

ثانيا : النخب التقليدية البورجوازية الحضرية.

- الحضر: طبقة بورجوازية غنية ارتبطت بالمدينة و قد عرفت اندماجا في الحضارة الغربية و ميلهم لثقافتهم و حبهم للحرية و السلام و الأمن و هذه الفئة الاجتماعية متعددة الوظائف و المهن و هي نخبة ليست مرتبطة فقط بالتكوين الثقافي. إلا إن السياسة الفرنسية جردتها من ممتلكاتها فأصبحت تعيش الفقر و التهميش الاجتماعي كونهم أصحاب مهن و حرف فأدّى ببعضهم إلى مشاركة المرابطين و الأجواد في ثوراتهم ضد الاحتلال الفرنسي .

القسم الثاني- النخب الحديثة.

بعد فشل الثورات الشعبية و انقسام النخب السالفة الذكر إلى مؤيد و معارض للاستعمار الفرنسي أدى إلى ظهور نخب جديدة. البعض منها امتداد للنخب التقليدية المحافظة على الشخصية الوطنية المطالبة بالاستقلال الكلي للجزائر مثل مصالي الحاج و البعض الآخر بالاندماج الكلي مع فرنسا مثل فرحات عباس و الذي تغير موقفه في النهاية و البعض الآخر بالاندماج الجزئي المطالب بالمساواة مع الفرنسيين و التجنس مع المحافظة على الأحوال الشخصية مثل الأمير خالد⁽¹¹⁾. كل هذه الفئات احتوت تحت فئة الشبان الجزائريين. أما الفئة الثانية من النخب الحديثة فهم العلماء الاصلاحيون و التي مثلها الطلبة المتخرجون من المعاهد الإسلامية الكبرى في المشرق و المغرب

الذين تشبعوا بالفكر الاسلامي العربي و كذا العلماء المتخرجين من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. و نركز في بحثنا هذا على التيار الاستقلالي الوطني الذي يمثله مصالي الحاج و التيار الاندماجي الذي يمثله فرحات عباس. فالتيار المحافظي هم نخبة محافظة على الهوية و الشخصية الوطنية التي عرفت تكوينها في المدرسة الدينية المتمثلة في الزوايا و المساجد. فهو فكر محافظ وطني خالص دعا إلى الاستقلال الكامل للجزائر و لا يمكن بأي شكل من الأشكال التنازل عن هذا المطلب لإيمانه أنه صاحب حق و الثاني مستعمر مدمر ظالم الذي برز جليا من خلال مطالب الحزب. أما التيار الاندماجي أو النخبة المثقفة ثقافة فرنسية و خريجة المدرسة الفرنسية وتأثروا بالثقافة و الفكر الفرنسي هذا ما جعل في شخصيتهم شخصية فرنسية تناديني بداية الأمر بالمساواة ثم تطور الى المطالبة بالاندماج مع فرنسا و التجنس بالجنسية الفرنسية⁽¹²⁾.

ونلاحظ ظهور شخصيتان بارزتان في الحركة الوطنية و لكنهما مختلفتان في الفكر و الايديولوجية و البعد الوطني. فما هي الأسباب التي جعلتهما تختلفان في نظريتهما تجاه فرنسا؟ هل يعود إلى التكوين الديني و التنشئة الاجتماعية المختلفة؟ فما هي منابع الثقافة التي تشبعا كل منهما؟

الفكر المحافظي – مصالي الحاج –

يعتبر مصالي الحاج من الرواد الأوائل للذين نادوا باستقلال الجزائر اذ لعب دورا فعّالا في الحركة الوطنية من خلال نشاطاته داخل و خارج الجزائر و تأسيسه للأحزاب السياسية و نشره للوعي السياسي و الفكر الوطني الاستقلالي النابع من ثقافته الوطنية و الدينية و لأوضاعه الاجتماعية المزرية التي كانت حالتها كحال معظم العائلات الجزائرية فمن تكون هذه الشخصية؟

هو حجي ولد أحمد بن حجي بن سي بوزيان بمصلي من خلال الشجرة العائلية المسجلة ببلدية تلمسان⁽¹³⁾ ولد يوم 16 ماي 1898م بمنطقة تلمسان التابعة لعمالة وهران أقصى الغرب الجزائري من عائلة بسيطة تتمتع بالفلاحة⁽¹⁴⁾. عائلة عريقة و متشعبة وأصلهم من الكراغلة العثمانيين أب تركي وأم جزائرية⁽¹⁵⁾ وأسرة متكونة من أربع

بنات و طفلين هذا ما دفع بوالده للعمل عند الآخرين لتلبية حاجيات الأسرة و في سنة 1919م أصبح والده مقدما في ضريح سيدي عبد القادر الجيلاني و كان يتقاضى أجره من خلال زيارات الناس للضريح بمساعدة أفراد الحي على الرغم من منافسة السكان له على هذا المنصب و بقي على هذه الحالة لمدة 20 سنة. وقد انتشرت العديد من الزوايا منها القادرية و التيجانية و الدرقاوية⁽¹⁶⁾ التي ينتمي إليها مصالي الحاج⁽¹⁷⁾ فكان بعض أفراد أسرته سواء من جهة أبيه أو من أمه مسؤولين على الزاوية فهذا ما سهل له الاندماج في الطريقة و كان كثير التردد عليها على الرغم من صغر سنه و هناك أدرك مبادئ الإسلام و مساوئ الاستعمار و كان يلزم عمه عبد القادر مشاوي الذي كان يعقد لقاءات مسائية كونه مقدم الزاوية فكان كثيرا ما يسمع أحاديث الناس عن السلطان العثماني و سلطان المغرب و الرجل المريض هذا ما غرس في نفسه الانتماء العربي الإسلامي. أما عن أمه كانت الزوجة الثانية لأبيه و هي من عائلة كثيرة الأفراد سبع بنات كان أبوها قاضيا و هي من عائلة عريقة محافظة مشهورة في تلمسان إلى إلى يومنا هذا و هي عائلة صاري علي حاج الدين والتي عملت على تربية أبنائها و تنشئتهم نشأة إسلامية. و كان يقطن بباب الجياد و هو منزل جدته إلى غاية 1918م حيث تزوج جميع إخوته ماعدا أخته الصغيرة هذا ما ساعد على تكوين تحالفات و رباطات جديدة للمحافظة على التقاليد العائلية باعتبار المجتمع التلمساني مجتمعا محافظا متدينا و كثيرة التأثير بالمبادئ الإسلامية ما أثر في تكوين شخصية مصالي الحاج منذ صغره سواء من قبل أسرته أو من مجتمعه التلمساني.

فكانت أمه تريد أن يتعلم حرفة ليعيش بها ك شأن جميع التلمسانيين و لكن والده دفعه للتعليم⁽¹⁸⁾ إلا أنه كان يقضي العطلة الصيفية في العمل و تعلم مهنة الحلاقة و مارسها ما سمح له بالحصول على قوت يومه و مساعدة أسرته و عمل أيضا حذاء متدربا⁽¹⁹⁾ و انتهى به العمل في مصنع التبغ⁽²⁰⁾. و في السن السابعة أدخله والده المدرسة الفرنسية و تعلم بها مبادئ الحساب و اللغة الفرنسية و كان يتردد بين الحين و الآخر على العمل في الحقول مع والده عند المعمرين، و قد أقام والده علاقات حسنة مع بعض العائلات الأوروبية التي ساعدته مستقبلا و خاصة في فرنسا مثل عائلة couetoux⁽²¹⁾ على الرغم من مشكل الاستقرار الذي عرفه كون جدته باعت منزلها مما اضطر والده للبحث عن منزل آخر.

وفي سنة 1908م أصدرت السلطة الفرنسية مشروع الخدمة العسكرية الاجبارية للجزائريين المسلمين هذا ما اعتبره المجتمع التلمساني خرقا للمبادئ الإسلامية فهاجرت الكثير من العائلات إلى المغرب و إلى المشرق الإسلامي، و نتيجة هذا جند مصالي الحاج فتوجه إلى مدينة بوردو bourdou و بقي ثلاث سنوات حيث مكنته من معرفته الجيدة للأوضاع العامة بفرنسا و ملاحظاته للفروقات الاجتماعية و اللامساواة هذا ما ولد الكره و الضغينة للفرنسيين وبالمقابل غرس فيه روح الوطنية فتكيف مع المجتمع الفرنسي إلا أنه حافظ على هويته الإسلامية العربية وساعدته

عائلة courtoux للظفر بمنصب عمل في مصنع النسيج و بعدها في مصنع الحديد ثم مصنع الخياطة و أخيرا تاجر متجول هذا ما ساعده بالتعرف على الجزائريين المتواجدين بفرنسا و تزوج من السيدة ايميل بوسكان التي ساعدته في بداية الامر و كان له ولدين علي و جنيّة . فماذا عن تكوينه الديني والتعليمي؟

تعتبر مسألة تعليمه و دخول المدرسة الفرنسية نابع من اصرار والده على الرغم من معارضة والدته ، إلا أنه دخل المدرسة الفرنسية لكونه بتعلم اللغة الفرنسية يكون قادرا على الدفاع عن نفسه و عن وطنه و تؤهله لمناصب عليا ك مترجم بين الفرنسيين و الجزائريين . فالحصول على الشهادة من المدرسة الفرنسية اذ يعد المفتاح للترقية الاجتماعية في المجتمع⁽²²⁾ ، فدخل مدرسة ديسيو descieux التي كانت مفتوحة للعرب و الفرنسيين فدرس السنة التحضيرية بها فانتقل إلى السنة الثانية إلا أنه صادفته صعوبات حيث انقطع عن الدراسة على الرغم من مجانية التعليم فأثر العمل لمساعدة أسرته على الدراسة . أما عن تكوينه الديني و ثقافته الاسلامية فارتبطت عائلته بالزاوية التي جمعت العبادة و التعليم و كذا انتسابه للطريقة الدرقاوية التي كان لها تاريخ سياسي ضد السياسة العثمانية سنة 1805م فولد لها أتباع في مختلف أنحاء الوطن و التي عرفت بمعارضتها للاستعمار الفرنسي و حثها على الجهاد و كذا دخوله الكتاب العربي بجامع سيدي الوزان و حفظ عددا من أحزاب القرآن فقد لقنه الشيخ بنعودة برصالي في الزاوية أمور الوطن و الوطنية و كان يحدثه عن الخلافة الاسلامية و مصطفى كمال أتاتورك⁽²³⁾ . فقد كانت نظرة السلطات الاستعمارية للزوايا أنهم أخطر العناصر على تواجدهم لسلطتهم الروحية و خضوع المجتمع لهم .

فقد تشبع مصالي بالفكر الاسلامي الوطني من خلال بينته و أسرته و الزاوية الدرقاوية و تعليمه العربي فكان له الاثر البالغ في نشاطه السياسي في المستقبل . فماذا عن تكوينه السياسي و نشاطه الحزبي؟

تكوينه السياسي والذي عرف فترتين مترابطتين في الفكر و المبادئ و هما التكوين النقابي و الحزبي .

أولا : التكوين السياسي النقابي :

يعتبر التجنيد الاجباري نقمة على العائلات الجزائرية إلا أنه كان سببا في تكوين الشخصية السياسية لمصالي الحاج فبعد التكوين الديني و التعليمي و التنشئة الاجتماعية الصعبة في ظل الحرمان و الفقر و انتقاله لفرنسا و تأسيسه علاقات مع العمال المغاربة فهناك أدرك الفروقات و الطبقة بين الفرنسيين و المغاربة و كيفية الدفاع عن الحقوق من خلال نقابات العمال الفرنسيين .

فكان كثيرا ما يبدي معارضة للنظام الفرنسي أمام زملائه العسكريين الفرنسيين و قرر رفع طلب احتجاج للسلطة الفرنسية بعدما أن كان برتبة رقيب كونه لا يتقاضى مثل الأوروبيين على الرغم من أنهم في نفس الرتبة العسكرية و كان رد الجنرال قاسيا على مصالي الحاج بأن القانون الفرنسي لا يسمح بالمساواة بين الفرنسيين و

الجزائريين. كما كانت لجريدة "اليومانتي" *humanité* تأثير في فكره و هي جريدة اشتراكية ضد الوطنية تتحدث عن الاضطرابات و تشتم الجيش الفرنسي ويطلق عليها جريدة العمال و الفقراء و هنا بدأ ينمو وعيه السياسي، وكذا مشاهدته لأول عمل نقابي متمثل في اضراب عمال السكة الحديدية فهنا عرف سلاحا آخر بديلا عن المقاومة⁽²⁴⁾ و هو النضال السياسي السلمي النقابي .

وفي سنة 1922 أصبح يهتم بالحزب الشيوعي بعد استماعه لمحاضرة "فايان كوتي ربي" الذي تطرق إلى الفكر الشيوعي و موقفه من الاستعمار و حقوق الانسان و دعمه للشعوب المضطهدة و أعلن أن الشيوعيين و الاتحاد السوفياتي مع الشعوب المضطهدة. هنا تباينت له عدة أفكار عند سماعه للخطاب، فقرر الانخراط في الجمعيات و الفدراليات و النقابات و أصبح يشارك في المظاهرات و الاحتجاجات و التجمعات العمالية كما ساند الشيوعيون الفرنسيون العمال الجزائريين و أقام اتصالات معهم عام 1924م⁽²⁵⁾ خاصة بعد التقائه بالمرشح الشيوعي ذو الاصول العربية "الحاج علي عبد القادر" الذي بين له مبادئ و أهداف الحزب الشيوعي و هنا أعلن انخراطه النسبي في الحزب الشيوعي⁽²⁶⁾.

ثانيا: التكوين السياسي الحزبي :

أثمر العمل النقابي العمالي في تأسيس نجم شمال افريقيا في مارس 1926م متكون من عمال شمال افريقيا عامة فكان يقوم على مبادئ تحسين الأوضاع الاجتماعية و التذكير بالتاريخ العظيم للحضارة الإسلامية و تنوير الفكر العربي و الدعوة للتحرر⁽²⁷⁾ عن طريق تنشيط ندوات و محاضرات و تجمعات شعبية و نشر مقالات هذا ما لفت انتباه العمال المهاجرين فزاد من شهرة الحزب خاصة بعد مشاركته في المؤتمر الدولي بموسكو حول الكفاح ضد الإمبريالية و استقلال الشعوب المضطهدة و مثل نجم شمال افريقيا، فكان الأمير خالد رئيسا شرفيا و الحاج علي بن عبد القادر رئيس النجم و مصالي الحاج أمينا عاما و بعدها أسندت الرئاسة لمصالي الحاج⁽²⁸⁾ إلا أن السلطات الفرنسية قامت بحله عام 1929م. وواصل أعضاء الحزب العمل السياسي باسم نجم شمال افريقيا الذي ظهر في 17 مارس عام 1934م و بعد أحداث قسنطينة قامت السلطات الفرنسية مجددا بحله عام 1935م. و بعدها ظهر الاتحاد الوطني لمسلمي شمال افريقيا على الرغم من توقيف مصالي الحاج إلا أن النجم استمر بالعمل السياسي بصفة سرية و بعد خروج مصالي الحاج من السجن أعيد هيكلته بصفة قانونية عام 1936م و لكن الجبهة الشعبية صادرتها عام 1937م. و شارك مصالي الحاج في المؤتمر الإسلامي بالجزائر و الذي اكتسب فيه شعبية كبيرة الذي افضى بتأسيس "جمعية أحباب الأمة" التي كانت النواة الأولى لظهور "حزب الشعب الجزائري" في 11 مارس 1937م و في نوفمبر 1938 نقل مقره من فرنسا الى الجزائر و قامت السلطات الفرنسية بحله يوم 26 سبتمبر 1939م و قامت باعتقاله و سجنه و نفيه الى افريقيا الاستوائية الى أن

أطلق سراحه عام 1944 وشارك مع فرحات عباس والبشير الإبراهيمي في تأسيس "جمعية أحباب و الحرية في مارس 1944م.

. إنشاء حركة انتصار الحريات الديمقراطية عام 1946 فقام بتسيير الحزب كل من محمد الأمين دباغين و عبد الله فيلاي و أحمد مزغن لتواجد مصالي الحاج في السجن⁽²⁹⁾. وبعد سلسلة من الاعتقالات والنفي و الإقامة الجبرية عاد الى الجزائر عام 1951م و هو يحرض للثورة التحريرية و انتهت حملته بمدينة الأصنام و بعدها نقل الى فرنسا. و قام بتأسيس الحركة الوطنية الجزائرية و التي عرفت تأييدا في منطقة العاصمة و القبائل وهران، و بعد اطلاق سراحه رفض المشاركة في اتفاقيات إيفيان.

قد أثرت التنشئة الاجتماعية الصعبة و الفقر و الحرمان و الظلم من جهة ، و التعليم العربي الاسلامي و المحيط الاسري و العمل النقابي و الحزبي من جهة في تكوين شخصية مصالي الحاج المحافظ على الاحوال الشخصية و الانتماء العربي و الاسلامي فتجلت في تياره الاستقلالي.

فرحات عباس - المدرسة الفرنسية -

يعتبر فرحات عباس من الشخصيات البارزة في الحركة الوطنية و تجلى ذلك من خلال افكاره و مبادئه فكان من دعاة الاندماج مع فرنسا لعوامل ساهمت في تكوين شخصيته، فيعتبر من رواد النخبة في الجزائر ذو المنهج و التعليم الفرنسي فهو خريج المدرسة الفرنسية منذ بدايته وصولا الى الجامعة فتكون تكوينا غربيا حتى أصبح لا يؤمن بوطن اسمه الجزائر. فما هي العوامل التي أدت به الى نضاله في التيار الاندماجي؟ أين اكتسب ثقافته و تكوينه الديني و التعليمي؟ هل للأوضاع الاجتماعية دور في تكوين شخصيته؟ فقبل الحديث عن منابع ثقافته فهو فرحات عباس؟

نشأ فرحات عباس في منطقة جبلية تسمى دوار شاملة بالطاهير التابعة لعمالة قسنطينة حاليا لولاية جيجل في يوم 24 أكتوبر 1899⁽³⁰⁾ من أسرة عريقة بمنطقة الشرق الجزائري عرفت بالبطولة و الشجاعة فقاومت الاحتلال الفرنسي لما حلّ بمنطقتهم عام 1852 م بقيادة الضابط "سانت أرنو"⁽³¹⁾. فهو ابن سعيد بن أحمد عباس الذي كان يشغل قائد ثم ترقى الى منصب آغا شرفيا لبلدية الطاهير المختلطة، فكانت أسرته كثيرة العدد و لكن مثقفة متكونة من سبع بنات و خمسة ذكور فمنهم من اشتغل على وظيفة أبيه و الاخر كاتب مساعد ببلدية الطاهير و الآخر طالبا بجامعة باريس و الاخير تلقى تكوينا فلاحيا⁽³²⁾.

ما جعل أسرته من العائلات الميسورة الحال مقارنة بمعظم الأسر الجزائرية فلم تعاني من الفقر و الحرمان باعتبار منصب أبيه و تعلم اخوته، إلا أن هذا لا يعني أن عائلته لم تعاني إطلاقا مما عاناه الجزائريون ففي سنة 1871م بعد قيام مقاومة الشيخ الحداد و المقراني بمنطقة القبائل و التي امتدت إلى الشرق الجزائري قسنطينة،

جيجل، البرج. كانت منطقته معنية بالثورة فانظم جده للمقاومة و بعد فشلها قامت السلطات الفرنسية بمصادرة أملاك جده فأصبح مجرد فلاح بسيط و عمّ الفقر بمنطقته ثم اضطر للعمل عند المعمرين مقابل 150 فرنك فرنسي قديم لليوم على الرغم من العمل الشاق جدا⁽³³⁾.

على الرغم من معرفة فرحات عباس أن والده لم يعارض فرنسا يوما و كان سنداً لها من خلال وظيفته فكثيراً ما عارض فرحات عباس والده عن سياسة فرنسا و لكن كان والده يرى في ولده سوء تقدير قوة و ثقافة فرنسا⁽³⁴⁾ فلم تؤثر فيه شخصية والده لئلازمته لجدته التي رسخت في ذهنه حب الوطن و القيم الاسلامية و التي كانت كثيراً ما تحدثه عن بطولات أبناء المنطقة وبثوراتها و مقاومتها و علمائها فعلمته أن فرنسا هي من سلبت كرامتنا و أرضنا. كانت نشأته أحسن بكثير من أترابه الجزائريين الذين حرموا حتى من حق الحياة و كان يتأسف لما يعانيها أبناء جلدته. أما عن تعليمه و اكتسابه لثقافته، فتلقى تكوينه الأولي مثله مثل الأسر الجزائرية في الزاوية و المدرسة القرآنية التي كانت منارة العلم تهتم بتلقين التعاليم الاسلامية و اللغة العربية و غرس مبادئ الاخوة و التضامن فدخل مدرسة "بني عافر" التي لم يمكث بها طويلاً، سرعان ما توجه الى المدرسة الفرنسية التحضيرية التي كانت مختلطة بين الأهالي و الفرنسيين⁽³⁵⁾.

بعدها انتقل الى المدرسة الابتدائية الفرنسية بجيجل فعانى ويلات الظلم و العنصرية فواصل تعليمه فدخل متوسطة "فليب فيل" بسكيكدة و هو ابن 16 عام زاول دراسته الثانوية بقسنطينة هذه المنطقة التي تأثر بها كثيراً بمعالمها التاريخية فهي معقل مدينة ماسينيسا و ابن باديس و في سنة 1921 تحصل على شهادة البكالوريا و بعدها التحق مباشرة بالثكنة لتأدية الخدمة العسكرية بمدينة عنابة لمدة ثلاث سنوات برتبة رقيب الا أنه عانى الظلم و اللامساواة و طالب بتحقيق العدل⁽³⁶⁾ و بعد الانتهاء من تأديتها انتقل الى الجزائر ليواصل دراسته الجامعية و كان ذلك عام 1923 فاختار تخصص الطب فرع صيدلة باعتبارها مهنة حرة غير مرتبطة بالعمل مع السلطة الفرنسية، فكان كثير الاهتمام بالتاريخ و الفكر و الحضارة و الفلسفة فتأثر بالمفكرين الفرنسيين و ثقافتهم و ثقافتهم و مبادئ الفكر الفرنسي من خلال الأفكار التنويرية الرامية للسلم و المساواة و الأخوة كافولتير واهتم بدروس الجغرافي قوتيي GOUTIER. فانصب أيضاً اهتمامه بدراسة فكر الحضارة الإسلامية و الموروث الثقافي الوطني و تاريخ المسلمين لمطالبة فرنسا بانتهاجها نفس المنهج لتثبيت نفسها و إدماج الجزائريين في حضارتها و ليس من أجل الدفاع عن تاريخ المسلمين و حضارتهم.

فبهذا كان فرحات عباس نتاج المدرسة الفرنسية الذي يقوم بدور الوسيط بين الأهالي و الفرنسيين و الفكر التنويري و الثقافة الغربية و أن تواجد فرنسا بالجزائر من أجل نشر الحضارة و الثقافة و إظهار الجانب الإيجابي للمستعمر من خلال التكوين و التدريس إلا أنه دائماً ينتابه شعور بالانتماء الإسلامي العربي فهذا ما جعله في ازدواجية

الثقافة بين الإسلامية والأوروبية التي أدت به مستقبلا في تغيير فكره من الجزائر الفرنسية إلى الجزائر الجزائرية من خلال نشاطه السياسي الطلابي والحزبي .

التكوين السياسي لفرحات عباس :

عرف فرحات عباس تكوينا سياسيا متكاملًا في المنهج والفكر هما : التكوين السياسي الطلابي والحزبي .

أولا : التكوين السياسي الطلابي .

إن تكوينه التعليمي العالي الفرنسي واهتماماته بالثقافة الفرنسية جعلته يهتم بأمور السياسة والفكر خاصة بفكر الأمير خالد الذي كان يصب في الحفاظ على الشخصية الوطنية الإسلامية فحمل شعار فرنسا والإسلام أي الفكر الوسطي لا استقلال عن فرنسا ولا حكم فرنسا المطلق نتيجة ازدواجية الثقافة الفرنسية والإسلامية ففي بداية الأمر اتبع نهج الأمير خالد مجسدا مطلب المساواة وتحسين الأوضاع وإلغاء الفروقات الاجتماعية والسياسية بين الفرنسيين والجزائريين⁽³⁷⁾، فأسهم بمقالات سياسية في الصحف باسم مستعار كمال بن سراج . وكانت له إطلاعات على الصحف الوطنية "الإقدام والتقدم" . في سنة 1926م ترأس جمعية الطلبة المسلمين بجامعة الجزائر وتجلت اهتماماته في تحسين الأوضاع وتجسيد مبدأ الجزائر فرنسية⁽³⁸⁾ . ثم نائبا لرئيس جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا التي تأسست 1919م وأصبح رئيسا لها من عام 1926م إلى 1931م⁽³⁹⁾ . فنشر الوعي السياسي بين الطلبة وحتى في الأوساط العامة وكان كثيرا ما يؤكد في مطالبه على التعليم والمساواة والاندماج تجلّى هذا في المؤتمر الثالث لجمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا بالجزائر عام 1933م وطالب فيه بتحرير دول المغرب العربي وبث اللغة العربية والوحدة المغاربية واندماج المجتمع الجزائري مع فرنسا⁽⁴⁰⁾ .

ثانيا : التكوين السياسي الحزبي

عرف فرحات عباس بنشاطه السياسي المكثف بمدينة سطيف والتي بدا فيها مهنة الصيدلة فأسس جمعية خيرية للتمويل لاهالي الجزائريين وفي نفس الوقت كان يشرف على جريدة الوفاق وفيها بين فكره الاندماجي وربط الجزائر بفرنسا إلا أنه مازال يؤمن بالحضارة الإسلامية العربية وتأثره بالكتابات المشرقية والفكر الإسلامي وخير دليل على ذلك اختياره لاسم كمال بن سراج - الذي يوحي لكمال أتاتورك . وانتخب مستشارا رئيسا لعمالة قسنطينة أثناء مشاركته في انتخابات تجديد المجالس العامة ومنها دعا إلى تنظيم المؤتمر الإسلامي الجزائري عام 1936م وتقديمه لمطالب الاندماج .

تأييده لمشروع بلوم فيولات من خلال مشاركته في المؤتمر الإسلامي الثاني ومنح الجنسية الفرنسية مع الحفاظ على الشخصية الإسلامية إلا أنه أدى إلى فشل المشروع من قبل المعمرين الفرنسيين .

- تأسيسه لحزب الاتحاد الشعبي الجزائري عام 1938م الذي تبنى مبدأ من "الشعب لصالح الشعب" اقام قاعدته على الجماهير الشعبية و لكن لم يتعدى صداه منطقة سطيف التي كان يدعوا الى اديولوجية اتحادية بين الجزائري وفرنسا مع الاحتفاظ بالأحوال الشخصية و بعد عام حلّ الحزب . و باندلاع الحرب العالمية الثانية التي تعد نقطة جذرية في تغيير فرحات عباس مساره الايديولوجي من الاندماجي الى الاتحادي و نهاية بالاستقلال خاصة بعد نزول الحلفاء بالجزائر و رفض الحكومة العامة لمطالب المنتخبين المسلمين للعمليات الثلاثة و تطبيق مبدأ تقرير المصير .

- تأسيسه لحركة أحباب البيان و الحرية في مارس 1944م و التي قامت ضد السياسة الاستعمارية والعمل على تأسيس جمهورية مستقلة مترابطة بروابط اتحادية مع فرنسا⁽⁴¹⁾ و بعد مجازر 8 ماي 1945م واعتقل فرحات عباس و حلّ الحزب و هنا أدرك استحالة التعايش بين الفئة الفرنسية و الفئة المسلمة و عند اطلاق سراحه بقرار العفو عام 1946م عاد للعمل السياسي .

- انشاء حزب الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري UDMA فطرح الإستقلال الداخلي بعد فوز حزبه في انتخابات الجمعية التأسيسية الثانية 1946م الذي يندرج ضمن الإتحاد الفرنسي .

- مشاركة حزب فرحات عباس مع حركة انتصار الحريات الديمقراطية و الحزب الشيوعي الجزائري والعلماء في تأسيس الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحريات عام 1951م التي منحت القيادة لجبهة التحرير .

- 25أفريل 1955م اعلان انضمامه للثورة المسلحة من القاهرة بعدما رفضت فرنسا القيام بإصلاحات واسعة و بعد الإجتماع النهائي بسويسرا انتهت فكرة الإندماج و الاتحادية مع فرنسا .

- عين عضوا في المجلس الوطني للثورة ثم انضم الى لجنة التنسيق و التنفيذ و قام بالتعريف بالقضية الوطنية في المحافل الدولية و عين رئيسا للحكومة المؤقتة الجزائرية في 19سبتمبر 1958م و بعد الاستقلال عين أول رئيس للجمعية الوطنية الجزائرية في 20سبتمبر 1962م الى 13جوان 1963م و بعدها اعتقل و أطلق سراحه و وضع تحت الإقامة الجبرية في 10مارس 1976م و أطلق سراحه عام 1977م الى أن توفي في 24ديسمبر 1985م .

جدول مقارن توضيحي يبين منابع تكوين الثقافة لدي مصالي الحاج وفرحات عباس.

منابع الشخصية	تكوين الشخصية	مصالي الحاج	فرحات عباس
التكوين الاجتماعي	- أسرة فلاحية فقيرة - أوضاع اجتماعية سيئة - معاناته الفقر والظلم والضرائب - مجتمعه المحافظ المتدين - الخدمة العسكرية بفرنسا	- أسرة بورجوازية - أوضاع اجتماعية حسنة - معاناته العنصرية في المدرسة - ولاء والده لفرنسا و خدمتها - الخدمة العسكرية بعنابة	
التكوين التعليمي والديني	- تعلمه بالزاوية والمسجد - دخوله المدرسة الفرنسية لفترة قصيرة - التكوين الأسري الديني المتشبع من الزاوية - الدرقاوية والمجتمع التلمساني - احتكاكه بالطبقة العامة والعاملة	- تعلمه بالزاوية لفترة قصيرة - دخوله المدرسة الفرنسية بكل مراحلها - اسهام جدته في غرس مبادئ الاسلام وحب الوطن - احتكاكه بالطلبة الفرنسيين والنخبة	
التكوين السياسي	- العمل النقابي بفرنسا - مشاركته في التظاهرات العمالية - تأثره بوطنية كمال أتاتورك وعبد الكريم الخطابي والفكر العربي. - مشاركته في المؤتمرات المناهضة للاستعمار - الوعي السياسي بعد الح الع الأولى - النهضة الإسلامية بالشرق. - اتصاله بالشيوعيين ومساندتهم - الدعوة للاستقلال التام للجزائر - تأسيس أحزاب تدعو للاستقلال - نجم شمال افريقيا ،نجم شمال إفريقيا - المجيد، حزب الشعب الجزائري،حركة انتصار - للحريات الديمقراطية ،المنظمة - الخاصة،الحركة الوطنية الجزائرية - رفضه لمشروع بلوم فيولات	- النشاط الطلابي ودورها السياسي - تأثره بالفكر والحضارة الغربية - نضاله مع النخبة الفرنسية - تأثره بالأمير خالد في البداية. - ترأسه للجمعيات الطلابية - مبادئ الداعية لتقرير المصير - مشاركته في التظاهرات السياسية - الداعية للاندماج والاتحادية - المشاركة في الانتخابات الفرنسية - إدماج الجزائر مع فرنسا - اتحادية الجزائر بفرنسا - الجزائر جزائرية - تأسيس أحزاب تدعو للاندماج حركة - أحباب البيان والحرية، الاتحاد الديمقراطي - للبيان الجزائري - المطالبة بتوسيع فكرة مشروع بلوم فيولات.	

- 1- أبرش إبراهيم، علم الاجتماع السياسي، دارالشروق، الأردن. 1998. ص. 115.
- 2- معن خليل العمر، علم اجتماع المثقفين، دارالشروق للنشر والتوزيع، الأردن. 2009. ص. 358.
- 3- بلحسن عمار، أنتلجنسيا أم مثقفون في الجزائر، ط1، دارالحداد، بيروت، لبنان، 1986. ص. 62.
- 4- المنجد في اللغة والأعلام، ط25، دارالشروق، بيروت، لبنان، دس، ص. 896.
- 5- ابن منظور، لسان العرب، ج4، دارالمعارف، القاهرة، ص. 2468.
- 6- اسم مشتق من الجواد أي الفرس لارتباط صاحبه بالفرس وتعلمه للفروسية يقال فرس جواد أي سريع .
- 7-Depont (Octave)etCopplani Xavier, Les confréries religieuses musulmanes, ed, adolphe jordan. 1897. P. 131.
- 8- بوهند خالد، النخب الجزائرية (1892-1942) نسبها، نشأتها و حركتها، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة سيدي بلعباس، 2010- 2011. ص. 40.
- 9- Smati Mahfoud, les élites algérienne sous la colonisation, tom 1, édition dahleb, alger. p. 151.
- 10 - ibid. p. 262.
- 11- بن خليفة عبد الوهاب، تاريخ الحركة الوطنية من الاحتلال الى الاستقلال، ط1، دارطليطلة، الجزائر، 2009. ص. 115.
- 12- بوعزيز يحيى، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الدولية والوطنية، دارالبصائر، الجزائر، 2009، ص. 488، 489.
- 13- قنانش محمد، ذكرياتي مع مشاهير الكفاح، دارالقصبة، الجزائر، 2007، ص. 09.
- 14- مصالي الحاج، مذكرات مصالي الحاج 1898- 1938، ترجمة محمد المعراجي، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، روية الجزائر، 2012. ص. 09.
- 15- سطورا بنيامين، مصالي الحاج 1898- 1874 رائد الوطنية الجزائرية، دارالقصبة للنشر، 1998، الجزائر. ص. 19.
- 16- الدرقاوية: طريقة صوفية مغربية الاصل تفرعت عن الطريقة الشاذلية الأمقرها مدينة فاس تنتسب في تأسيسها الى أبو عبد الله محمد بن يوسف الملقب بأبي درقة. ولها أتباع في الجزائر عرفت بثورتها ضد الحكم العثماني.
- 17- مصالي الحاج، المصدر السابق. ص. 13.
- 18- قنانش محمد، قداش محفوظ، نجم الشمال الإفريقي 1937- 1926، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، دس. ص. 70.
- 19- مصالي الحاج، المصدر السابق. ص. 35.
- 20- نفسه. ص. 45.
- 21- نفسه. ص. 20.
- 22- حبيبوش يوسف، المدرسة الفرنسية في الجزائر ودورها في تكوين النخب، مجلة المصادر، جامعة الجزائر، العدد 16، دارالكرامة للطباعة والنشر والاتصال. الجزائر. 2007. ص. 165.
- 23- محفوظ قداش، قنانش محمد، المرجع السابق، ص. 70.
- 24- مصالي الحاج، المصدر السابق. ص. 94.
- 25- نفسه. ص. 120.
- 26- نفسه. ص. 130.
- 27- بوعزيز يحيى، سياسة التسليط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830- 1954، دارالبصائر. الجزائر. 2009. ص. 108. 109.

- 28- نجار عمار، مصالي الحاج الزعيم المفتري عليه، دار الحكمة، الجزائر. 2012. ص. 35.
- 29- همساوي مصطفى، جذور نوفمبر 1954 في الجزائر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية و أول نوفمبر 1954. دار هوم، الجزائر. د.س. ص. 62.
- 30- حميد عبد القادر، فرحات عباس رجل الجمهورية. دار المعرفة، الجزائر. د.س. ص. 53.
- 31- Abbas (Ferhat), autopsy d'une guerre, l'aurore, édition Garnier frère, Paris, France, 1980. p. 161.
- 32- معزة عز الدين، فرحات عباس و دوره في الحركة الوطنية و مرحلة الاستقلال 1899-1985. مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة. 2004-2005. ص. 28.
- 33- Abbas (Ferhat), Op. cit. p. 161.
- 34- معزة عز الدين، فرحات عباس و الحبيب بورقيبة دراسة تاريخية و فكرية مقارنة 1899-2000، أطروحة دكتوراه قسم التاريخ، جامعة قسنطينة. 2009-2010. ص. 85.
- 35- Storat (Benjamin) Zakia daoud, Ferhat Abbas une autre algerie, Edition casbah. 1995. P. 22.
- 36- بوعبد الله عبد الحفيظ، فرحات عباس بين الادمج والوطنية، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة باتنة. 2005-2006. ص. 38.
- 37- قنان جمال، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر. د.س. ص. 182.
- 38- حميدة عبد القادر، المرجع السابق. ص. 53.
- 39- Ferhat Abass. Op. cit. P. 125.
- 40- Storat (ben jamine) Zakia daoud. Op. cit. P. P. 41. 43.
- 41- فرحات عباس، ليل الاستعمار حرب الجزائر و ثورتها، ترجمة أبو بكر رحال، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال النشر و الإشهار. الجزائر. 2005. ص. 121.